محتويات العدد١٥ لعام٢٠٠٦

اسم البحث	اسم الباحث	رقم الصفحة
منهج الرسول في الدعوة المرحلة المكية في ضوء الكتاب والسنة	د. سعيد عبد الرحمن القزقي	١
دعوة الاسلام الى وحدة المجتمع الانساني ونبذ الفرقة	د. طارق محمد سميان	٥٧
الادغام الكبير	د. محمد خضير الزوبعي	٩١
فقه الخلاف واثره في الواقع	د. غازي خالد العبيدي	١٢٠
مفهوم العدالة وعلاقتها بالقانون	د. محمود حسن علي	١٦٨
التفسير العلمي في القران واثره في العقيدة والفكر	د. طارق محمد سميان	١٩٥
اقسام التوحيد وانواعه عند الصوفية	د. ثائر ابراهيم الشمري	٢٢٢
اراء النحاة في الوقت والامانة في كتاب الكنز للواسطي	د. غازي خالد العبيدي	٢٦٣
فقه الامام يحيى بن معين من خلال تاريخه	د. غازي خالد العبيدي	٢٧٨
اسرار الجبال في القران الكريم	د. اسماعيل محمد قرني	٣٣٩
رواية المبتدع واثرها في اختلاف الفقهاء	د.عثمان محمد غريب	٣٦٤

جامعة بغداد
كلية العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

أقسام التوحيد وأنواعه

عند الصوفية

دراسة عقائدية لبيان فهم الصوفية لتوحيد الله تعالى وموقفهم

منه

تعريفاً وأدلة وأقساماً وأنواعاً

تأليف

الدكتور ثائر إبراهيم الشمري

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الذي انار طريقه لعباده العارفين،فوحدوه وعبدوه على اليقين، واخلصوا له في كل وقت وحين، فاستخلصهم لنفسه وجعلهم من المقربين، وصلاته وسلامه الاتمان الاكملان على حضرة درة صدفة الوجود، صاحب الشفاعة العظمى والمقام المحمود، الى يوم اللقاء والخلود، وعلى اله واصحابه اهل الفدا والذود، والكرم والجود، واما بعد..

فمنذ فترة زمنية طويلة وانا اسال نفسي: لماذا هاجم كثير من الكتب- المعاصرة منها خصوصاً – الصوفية؟ ولماذا هذا الصرف المادي اللامحدود على طباعتها وتجليدها وتجميلها وترغيبها للقارئين ؟ ولماذا كل هذه الغارات الشرسة المكفرة تارة، والمشككة بتوحيدهم تارة اخرى؟

اكان الصوفية مشركين حقا؟ اكانوا بعيدين عن التوحيد كما صورت مئات من تلك الصفحات المطبوعة الحديثة؟ اكانت جعبتهم خالية من البحوث العلمية والطروحات الموضوعية؟

ثم ما دقة ما أشاعه عنهم خصومهم من مثالب لا تعد ونقائص لا تحد؟ كل تلك الاسئلة دفعتني للبحث عن حقيقة توحيد الصوفية ، ولكن من اجل ان اصل الى حقيقة واضحة عنهم عليّ ان انظر الى الصوفية من داخل ساحتهم ، لا من خارجها، واتامل في توحيدهم من داخل مدارسهم، لا في كتب اعدائهم، وان اتغافل كل ما اشتهر عنهم واشيع ضدهم ، وان يكون البحث العلمي المجرد هو المنهج الوحيد الذي اعتمده.

وهكذا وجدت نفسي امام مهمة عقائدية خطيرة ، تفرض عليّ ترك ما قيل وما نقل وما ادعي، وان انقب عن الحق المطمور بنفسي وهو يعيش تحت ركام هائل من الادعاءات. وبدهي ان القيام بهذه المهمة يتوقف على وضع منهج علمي للبحث، وبقدر ما تكون الغاية صافية ، والنية خالصة لا حكم فيها لهوى

نفس او مصلحة اتجاه معين، يكون المنهج اليها صافياً سليماً ايضا، لا يدفعه الا حب التطلع الى الحقيقة، ولا يدعمه الا رغبة الوصول الى الطبيعة.

اقول .. ولن يمكن ان اظفر بجواب شاف كاف الا اذا تلمسته من واقع طريقة الصوفية في توحيدهم لرب العزة والجلال- تبارك وتعالى- مخلفاً وراء ظهري كل ظلام دامس، وكل مشهد طامس.

وقد احتوى هذا البحث المتواضع على تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة:

اما التمهيد فقد اختصرت فيه ما قيل عن التصوف اشتقاقاً وتعريفاً.

واما المبحث الاول فقد خصصته لتعريف التوحيد لغة، وما اصطلح عليه الصوفية من تعاريف ذكروها في كتبهم المشهورة المعتمدة.

واما المبحث الثاني فقد ذكرت اشهر الادلة النقلية والعقلية التي اعتمدها الصوفية لاثبات وحدانيتهم لله تعالى- رب العالمين.

واما المبحث الثالث فقد تضمن مطلبين : الاول في اقسام التوحيد، والثاني في انواع التوحيد واعلى هذه الانواع وارقاها.

ثم خرجت من هذه الدراسة المتواضعة بنتائج فريدة، وخاتمة ثمينة، ثم ذكرت اهم المراجع والمصادر التي رجعت اليها واعتمدت عليها وكنت في الاعتماد اركز على امهات كتب الصوفية واوثقها.

فما كان في هذه الدراسة من صواب فمن فضل الله الكريم ومنه، وما كان فيها من خطا وتقصير فمن نفسي الامارة بالسوء اذ هذا شانها.

رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ - آمين-

والصلاة والسلام في البدء والختام على خير الانام،ومصباح الظلام، سيدنا وحبيبنا محمد وعلى اله واصحابه الكرام، الى يوم البعث والقيام . وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الباحث

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على حضرة سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى اله واصحابه أجمعين ، اما بعد:

فان التصوف الاسلامي- الذي هو روح الاسلام وقلبه النابض – حظي بتعريفات عدة، ملئت بها الكتب الاسلامية والدراسات العلمية، ومن اشهرها: التصوف هو : التعلق بالحقائق، واليأس مما في أيدي الخلائق. ومنها ايضاً : التصوف هو : الأخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق فقد زاد عليك بالتصوف. وقيل غير ذلك كثير.

ومن الجدير بالذكر ان تعريف التصوف شيء، وان اشتقاقه اللغوي شيء اخر، اما التعريف فقد عرفناه الان، واما الاشتقاق فمنهم من قال مشتق من الصفاء أي: النقاء، ومنهم من قال: من الصف الأول، وقيل: نسبة الى أهل الصفة، وقيل: من لبسهم الصوف ، وقيل غير ذلك.

ومن يتأمل في هذه الاشتقاقات المقولة تأملاً لغوياً يتبين له [ان قواعد الاشتقاق اللغوي تأباها – كلها- ولا تساعد عليها. وابعد من هذه عن الصواب ما قيل في استعارتها من لفظة " سوفي" الاوربية ، اذ ان حقائق التصوف الاسلامي ومصادره وتاريخ تطوره وتأريخ رجاله- كل ذلك يأبى وينقض هذه القيلة](١).

واما التوحيد فهو ان يؤمن الانسان بان الله تعالى واحد احد، فرد صمد، لا شريك له ولا مثيل في ذاته العلية وصفاته السنية وافعاله البهية. والذي يهمنا في هذا البحث العلمي المتواضع هو : كيف اعتقد الصوفية بوحدانية الله تعالى؟ وما هي رؤيتهم في توحيده سبحانه؟ وكيف كانت احوالهم في توحيده؟ جل جلاله وعم نواله.

(١) معالم الطريق في عمل الروح الاسلامي ، للعلامة الدكتور عبد الله مصطفى النقشبندي – رحمه الله- ، ط١، عمان- الاردن ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، ١١.

المبحث الاول

تعريف التوحيد لغة واصطلاحا

التوحيد لغة: ماخوذ من الفعل الماضي وحد، اي : امن بالله سبحانه واقرّ بانه واحد، ووحد الشيء جعله واحداً، والتوحيد : هو الايمان بالله تعالى وحده لا شريك له. (والوحدانية) صفة من صفات الله تعالى، ومعناها: انه يمتنع ان يشاركه شيء في ذاته او صفاته او أفعاله وانه منفرد بالايجاد والتدبير العام بلا واسطة. (والوحيد) هو المنفرد بنفسه (والواحد) ذو الوحدانية والتوحد. (والاوحد) هو الذي لا نظير له.[1]

و التوحيد اصطلاحاً: عرف على لسان الصوفية بتعريفات كثيرة، ومن اشهرها ما ياتي:

١-التوحيد: هو شهادة المؤمن شهادة يقينية بان الله تعالى هو الاول في كل شيء، واقرب من كل شيء، وهو المعطي المانع ، الهادي المضل، لا معطي ولا مانع ولا ضار ولا نافع الا الله، ولا شريك له في ملكه ولا معين له في خلقه، ولا نظير له من عباده ، وهو اول في اخريته باولية هي صفته، واخر في اوليته باخرية هي نعته وليس في توحيده كيف ولا لقدرته ماهية، ولا يشبهه باوصافه خلق، منزه عن الحلول والاتحاد[2].

٢- التوحيد: هو نفي القسيم لذاته تعالى، ونفي الشبيه عن حقه وصفاته ، ونفي الشريك معه في افعاله وصفاته . ولما سئل احدهم عن التوحيد قال: ان

---

(١) المصباح المنير غريب الشرح الكبير للرافعي، تاليف العلامة احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت -٧٧٠هـ) دار القلم، بيروت- لبنان، ٨٩٤/٢ وما بعدها مادة: وحد والمعجم الوجيز، معجم اللغة العربية في جمهورية مصر العربية ، دار التحرير للطبع والنشر ، ص ٦٦٢، مادة: وحد ومعجم الوسيط، ود ابراهيم انيس ود عبد الحليم منتصر واخرون، دار امواج، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م ، ط الثانية، ١٠١٧/٢ ، مادة : وحد .

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ، للشيخ ابي طالب محمد بن ابي الحسن علي بن عباس المكي، تحقيق سعيد نسيب مكارم، دار صادر ،بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٥م، ١٦٤/٢ وانظر: معجم الفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوي ، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط١، ١٩٨٧م، ص ٩٢.

تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا مزاج ، وصنعه للاشياء بلا علاج ، وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه، ومهما تصور في نفسك شيء فالله عزو وجل بخلافه.[١]

٣-التوحيد: هو افراد الله تعالى بكمال احديته، ونفي الاضداد والانداد والاشباه.[٢]

٤- التوحيد: هو اسقاط الوسائط عند غلبة الحال، والرجوع اليها عند الاحكام.[٣]

٥-التوحيد: هو سلب الكمية المصححة للقسمة عن الله تعالى ، ونفي النظير والضد.[٤]

والواحد: هو الذي لا يتجزا ولا يثنى، والله تعالى واحد يستحيل تقدير الانقسام في ذاته تعالى .[٥]

وبتعبير اخر : التوحيد هو عدم التعدد في الذات والصفات والافعال.[٦]

ومعنى عدم التعدد في الذات هو ان ذات الله تعالى ليست مركبة من اجزاء واعداد، وليس لذاته العلية نظير او شبيه.

---

[١] الرسالة القشيرية في علم التصوف ، للامام العالم ابي القاسم القشيري (ت- ٤٦٥هـ) وبهامشها من شرح شيخ الاسلام زكريا الانصاري – رحمهما الله- ، دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بغداد ، ص ٢٣٢.

[٢] المصدر نفسه،

[٣] المصدر نفسه .

[٤] الاقتصاد في الاعتقاد ، لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي (ت- ٥٠٥هـ) ط١، سنة ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ص ٤٩ وما بعدها.

[٥] المقصد الاسنى في شرح معاني اسماء الله الحسنى لابي حامد الغزالي ، ط١، سنة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، دار ابي حزم، بيروت- لبنان، ١٣٣.

[٦] تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب ، للعلامة الشيخ محمد امين الكردي الاربلي النقشبندي (ت- ١٣٣٢هـ) ط٩، سنة ١٣٧٢هـ، دار احياء التراث العربي ، بيروت- لبنان ، ١٥.

ومعنى عدم التعدد في الصفات هو ان صفاته سبحانه ليس لها مثيل من الصفات ، وليس له صفتان فاكثر من جنس واحد.[١]

ومعنى عدم التعدد في الافعال هو انه لا شريك له في خلق الاشياء وتدبيرها.

٦-التوحيد: هو افراد المعبود بالعبادة ، مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وافعالاً.[٢]

٧-التوحيد: هو ان يفنى المؤمن عن شهود ما سوى الله تعالى، بحيث يغيب عن شهود نفسه لما سوى الله تعالى.[٣]

٥- التوحيد: قال الجنيد البغدادي- قدس سره الشريف- هو افراد القديم عن المحدث.[٤]

والمراد بالقديم هو حضرة الله- تبارك وتعالى- فيكون المعنى: افراد الذات المقدسة بصفات ازلية قديمة سرمدية، تختلف عن صفات كل المحدثين ، وعندئذ تصح دعوى التوحيد.

زيادة بيان وتوضيح:

بعد التامل العلمي في التعريف الاخير تبين لنا ان المقصود بالافراد نوعان : ١- افراده سبحانه في الاعتقاد والتصديق ٢- وافراده بالعبادة.

---

[١] اي : ان تنفي عن حضرة الله- تبارك وتعالى- الكم المتصل في ذاته العلية وهو تركب ذاته من اجزاء عديدة، والكم المنفصل في الذات ايضا وهو ان يكون هناك ذات مماثلة او مشابهة لذاته تعالى. والكم المتصل في الصفات وهو تعدد كل صفة من صفاته العلية من جنس واحد،والكم المنفصل في الصفات ايضا وهو ان يكون لغيره من الحوداث مثل صفاته ، وان لا يكون غيره سبحانه من الحوادث مشاركاً له سبحانه في فعل من افعاله . انظر: حاشية الدسوقي على ام البراهين ، للعلامة محمد بن احمد الدسوقي ، المكتبة العصرية ، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ١٣٨.

[٢] تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ، للعلامة ابراهيم بن محمد بن احمد البيجوري (ت- ١٢٧٧هـ) دار الكتب العلمية،ط١، بيروت- لبنان ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ١٨.

[٣] التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، للشيخ فالح بن مهدي ال مهدي، دار الوطن- الرياض ، ط١، ١٤١٤هـ، ٤٢٤.

[٤] مدارج السالكين ، للامام ابن قيم الجوزية (ت- ٧٥١هـ) تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي- بيروت، ط الاخيرة ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ٣/٤٤٥ و ٤٤٦.

واذا جئنا الى النوع الاول- افراده في الاعتقاد - لوجدناه على نوعين ايضا ، الاول: افراده سبحانه بصفات مباينة لصفات كل المخلوقات ، وهذا ما جاء به حضرات الانبياء والرسل- عليهم الصلاة والسلام- والثاني: افراده بصفات الكمال من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف وننفي عنه مماثلته للحوادث - جل جلاله وعم نواله- اذ [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ].[1]

واما النوع الثاني وهو افراده سبحانه بالعبادة فالمقصود هو افراده بكل صفات الاله من التوكل والاستعانة والخوف والرجاء والتعظيم والركوع والسجود والحب وغيرها . وقد مدح ابن القيم - رحمه الله- تعريف الامام الجنيد - قدس سره قائلاً : [ولذلك كانت عبارة الجنيد عن التوحيد عبارة سادة مسددة][2]

كيف ينظر الصوفية الى التوحيد:

مما لا شك فيه هو ان نظرة الصوفية الى توحيد حضرة الجليل - تبارك وتعالى- تميزت عن نظرة غيرهم من علماء الامة، ابتداءً من علماء الكلام، فقد اثرت في تعريفاتهم مواجيدهم الروحية، واشراقاتهم القلبية ، وفيوضاتهم العرفانية، وقد ترك كل ذلك بصماته واضحة على السنتهم وكلماتهم الرقيقة.

والحق يقال: ان الاتساع الفكري والعمق الروحي الذي دخلوا فيه لفهم التوحيد لم يسبقهم اليه احد: والدليل على ذلك هو انك لو جئت تتامل في احدى تعريفاتهم للتوحيد: وهو ان يفنى المؤمن عن شهود ما سوى الله تعالى، بحيث يغيب عن شهود نفسه، لوجدت في ذلك ذوقاً عالياً ، وفهماً عميقاً ، وبعداً فريداً فهو يعني ان المؤمن من اجل ان يصل الى التوحيد[3] الحقيقي عليه ان يغيب بقلبه عن رؤية غير الله تبارك وتعالى، ابتداءً من نفسه، ويغيب بمعبوده عن

---

[1] الشورى : ١١.

[2] مدارج السالكين ٣/٤٤٦.

(3) التوحيد الحقيقي بالنسبة للوراث الكمل لا بالنسبة لله تعالى: اذ ذاك لا يصل اليه احد كما سنوضحه لاحقاً

عبادته ، وبمذكوره عن ذكره، وبموجوده عن وجوده ، وبمحبوبه عن حبه، وبمقصوده عن قصده وبموحده عن توحيده ويا فوز من ناله وظفر به .

وهذه الدرجة العالية من التوحيد لا يصل اليها المؤمن الا اذا أفنى نفسه في محبة الله تعالى وعبادته، بحيث يغيب عن مشاهدة نفسه وطاعته واخلاصه بسبب شدة استغراقه بمشاهدة مولاه ودوام حضوره معه. ولن يصل الى ذلك بسهولة، فالامر يحتاج الى فترة من التدريب المستمر، على ايدي اطباء متخصصين أولي خبرة طويلة وممارسة فريدة.

ونحن لا ننسى ان اساس التصوف هو المداومة على ذكر الله- تبارك وتعالى- لقوله تعالى" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً.."[1] ويركز الصوفية في ذكرهم[2] غالباً على لفظ الجلالة (الله) او على كلمة التوحيد (لا اله الا الله) بحيث يستجمع الصوفي شتات فكره المبعثر ويحصر ذهنه المشتت في مذكوره سبحانه، ويكرر الذكر مرة بعد اخرى الى ما لا يعلمه الا الله تعالى ويبدا بنسيان الكون كله واهله ونفسه شيئاً فشيئاً، حتى يتجلى له الله- جل جلاله- ويستغرق في الاتصال بحضرته العلية، ويتذوق طعم التوحيد وحلاوة التصديق ، ولكن من غير حلول ولا اتحاد.

وما أجمل مناجاة احد العارفين وهو العلامة حضرة الشيخ عبد الله النقشبندي – قدس سره الشريف- عندما قال:

قلبي برحمتك اللهم ذو انس ... بفيض نور من التوحيد ملتمس
وجهت وجهي اليه عائذاً دنفا ... في السر والجهر والاصباح والغلس
وما تقلبت من نومي وفي سنتي ... ولا نشدت جهاراً او على همس
ولا تنفس صبح من مشارقه ... الا وذكرك بين النفس والنفس
لقد منيت على قلبي بمعرفة ... هدت لحب من العلياء مقتبس
حتى تجليت فالاكوان شاهدة ... بانك الله ذو الالاء والقدس[3]

---

(1) الاحزاب : ٤١.

(2) تنوعت اساليب الصوفية في كيفية ذكر الله – سبحانه وتعالى- فبعضهم حبذ الجهر كالطريقة القادرية والاخر السر والخفاء كالطريقة النقشبندية، وقد عقد ابن القيم في الفوائد فصلاً في المفاضلة بين الاسلوبين واجاد في ذلك، وليس من المهم هنا هو تحرير القول في افضلهما، لان الصوفي ابن وقته، ولكل حاله واجتهاده.

(3) نفحات الحياة- ديوان شعر معاصر ، للدكتور عبد الله مصطفى (رحمه الله) شركة الفكر للتصميم والطباعة المحدودة، ط١، بغداد، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م، ١٣٣.

علاقة التوحيد بالتجريد والتفريد:

قلنا- قبل قليل- ان للسادة الصوفية ذوقاً جميلاً ومعنى واسعاً وطعماً خاصاً في فهم توحيد الله – تبارك وتعالى- وذلك لانهم يقيمون توحيدهم على اساسين متينين، احدهما : التجريد ، وثانيهما: التفريد.

اما التجريد: فمعناه ان يتخلى بظاهره عن الاعراض، وبباطنه عن الاعواض ، فلا ياخذ من عرض الدنيا شيئاً ، ولا يطلب على ما ترك منها عوضا.

واما التفريد: فمعناه ان يتفرد عن الاشكال، وينفرد في الاحوال، ويتوحد في الافعال بمعنى [ان تكون افعاله لله وحده، فلا يكون فيها رؤية نفس، ولا مراعاة خلق ، ولا مطالعة عوض، ويتفرد في الاحوال عن الاحوال ، فلا يرى لنفسه حالا، بل يغيب برؤية محولها عنها، ويتفرد عن الاشكال ، فلا يانس بها ولا يستوحش منها][1]

وقيل التجريد: ان لا يملك [بكسر اللام]

والتفريد : ان لا يملك [بفتح اللام][2]

وعلاقة هذين الاساسين بالتوحيد علاقة قوية، وصلتهما به صلة متينة، اذ هما مقدمتان للفناء، والتوحيد هو الفناء. فهما اذن يؤسسان القاعدة العريضة لبناء التوحيد، ويهيئان الصوفي نفسياً وروحياً للارتقاء والعروج الى المعنى السابق ذكره في تذوق التوحيد.

توحيد الصوفية وعلم الكلام:

ومع اننا قلنا بان توحيد الصوفية يتميز عن توحيد علماء الكلام بنكهة خاصة، وطعم خاص، ورائحة خاصة بيد ان هذا لا يعني تناقضاً او اختلافاً بين الفريقين وذلك لسببين:

---

(1) التعرف لمذهب اهل التصوف ، لتاج الاسلام ابي بكر محمد الكلاباذي (ت – ٣٨٠هـ) حققه دز عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار احياء الكتب العربية – القاهرة ، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م، ١١١.

(2) المصدر نفسه.

١- لان كثيراً من المتكلمين هم من ائمة الصوفية، ولست مبالغاً ان قلت: ان اكثر المتكلمين هم من مشاهير السادة الصوفية، وفي مقدمتهم شيخ التابعين ابو سعيد الحسن البصري – قدس سره- ومن بعده كثير كالحارث المحاسبي وحجة الاسلام الغزالي والشريف الجرجاني وسعد الدين التفتازاني وغيرهم – طيب الله ارواحهم الزكية.

٢- ولان اكثر الادلة التي اعتمد عليها المتكلمون – سواء اكانت نقلية ام عقلية- هي نفسها التي اعتمد عليها الصوفية، وهذا ما سنراه يقينا في معرض الادلة على الوحدانية ان شاء الله تعالى والذي قصدناه من كلامنا هو ان الذين اشتهروا بعلم الكلام اكثر من غيره راعوا الجانب النظري العقلي في تعريف التوحيد وبيانه اكثر من الجانب الروحي، لانهم كانوا مع الملحدين تارة، ومع المنحرفين فكرياً تارة اخرى، وجهاً لوجه، والساحة يومئذ غير هادئة لكشف اسرار روحية بعيدة عن مداركهم العقلية.

التوحيد وعلم التوحيد:

ومما ينبغي التنبيه عليه هو ان التوحيد غير علم التوحيد،فالتوحيد كما رايت سابقاً هو : افراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته، والتصديق بها ذاتاً وافعالاً وصفات، فلا شبيه له سبحانه، لا في ذاته ولا في افعاله ولا في صفاته.

اما علم التوحيد: فهو علم يقتدر بواسطته على اثبات العقائد الدينية، مكتسب من ادلتها اليقينية[١]. وعندئذ فالمغايرة بين التوحيد وعلم التوحيد لازمة، لان ليس كل من درس علم التوحيد وعرف اصوله واركانه وادلته كاليهود مثلاً ، اصبح موحداً لان العلم شيء والتصديق والاذعان له شيء اخر.

وهذا ما اشار اليه قوله سبحانه : " وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ".[٢]

---

[١] تحفة المريد: ١٨.

[٢] النمل: ١٤.

المبحث الثاني

أدلة توحيد الصوفية (النقلية والعقلية)

اعتمد الصوفية في توحيدهم لحضرة الله تعالى على نوعين من الادلة اولاً ادلة نقلية، وثانياً: ادلة عقلية، وكانت حصة الادلة النقلية اكثر من حصة الادلة العقلية واليك اشهرها:

١- قال تعالى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)).[١]

٢- وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).[٢]

٣- وقال تعالى: (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)[٣].

٤- وقال تعالى(مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)[٤]

٥- وقال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).[٥]

فقد اخبرنا الحق- سبحانه وتعالى- انه هو الموحد لنفسه بنفسه، اما عباده فانما هم شهداء على شهادته تعالى لنفسه، وشهادتهم على سبيل التصديق والاعتراف والاذعان.

فان قيل: عطف الملائكة واولو العلم على شهادته- سبحانه- لنفسه بحرف الواو قد يوهم الاشتراك في الوقت والاشتراك بالشهادة، لماذا؟ لان شهادة الحق- سبحانه- لنفسه لا افتتاح لها، والملائكة واولو العلم محدثون بلاشك.

والجواب على ذلك: هو انه لا اشتراك الا في الشهادة قطعاً، اما الوقت فلا يصح فيه اشتراك، لان شهادة الله تعالى لنفسه بالوحدانية كانت قبل خلق

---

[١] البقرة : ١٦٣.

[٢] ال عمران :٦.

[٣] البقرة : ٢٢٥.

[٤] المؤمنون : ٩١.

[٥] ال عمران : ١٨.

الزمان، وشهادة عباده له بعد خلقه لهم واظهارهم الى الوجود[1] فسبحانه من اله عظيم – جل جلاله وعم نواله.

٦-وقال تعالى: (لو كان فيهما- اي : في السموات والارض- الهة الا الله اي كان فيهما- : غير الله لفسدتا)[2] اي اختل نظامهما وفقد اتزانهما.

وبين الصوفية سبب عدم وجود الهين في الوجود، وهو كون الحق سبحانه [لا مثيل له- في الوجود- فلو صح ان يكون في الوجود الهان لصح ان يكون له تعالى مثل، وذلك محال، لان الله تعالى نفى ان يكون له مثل][3].

وقال الامام الغزالي- قدس سره- في هذه الاية [لو كانا – اي: الالهان : المفترضان في الوجود – اثنين، واراد احدهما امراً ، فالثاني ان كان مضطراً الى مساعدته كان هذا الثاني مقهوراً عاجزاً ولم يكن الهاً قادراً وان كان قادراً على مخالفته ومدافعته كان الثاني قوياً قاهراً والاول ضعيفاً قاصراً ولم يكن الهاً قادراً][4].

ثانياً: الادلة العقلية: لقد اعمل الصوفية عقولهم ببركة نور يقينهم بخالقهم – سبحانه- ودوام ذكره ومحبته، فاجادوا في ايضاح دليل عقلي على وحدانيته ، يسمى برهان التمانع ، وخلاصته: هو انا لو افترضنا وجود الهين خالقين لهذا العالم ، فالامر لا يخلو من اثنين اما ان يتفقا ، واما ان يختلفا.

فان اتفقا على ايجاد زيد مثلاً ، فعندئذ يترتب على هذا الاتفاق ما ياتي:

١- لا يجوز ان يشتركا في ايجاده، لانه يلزم منه اجتماع مؤثرين على اثر واحد.

---

(١) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر، للامام عبد الوهاب بن احمد الشعراني (ت- ٩٧٣)،ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١/٤١.

(٢) الانبياء : ٢٢.

(٣) اليواقيت والجواهر : ١/٤٦.

(٤) احياء علوم الدين، للامام ابي حامد الغزالي (ت- ٥٠٥هـ) وبذيله: المغني عن حمل الاسفار للحافظ العراقي (ت-٨٠٦هـ) ط٣، دار القلم، بيروت- لبنان، ١/١٠١ ، قلت: هذا الدليل الذي قاله الغزالي هو من اشهر ادلة المتكلمين واقواها على وحدانية الله تعالى وسياتيك الان مفصلاً في فقرة الادلة العقلية ان شاء الله تعالى.

٢- ولا يجوز ان يوجداه مرتين على التعاقب والتوالي، بان يوجده الاول ثم يوجده الثاني لانه يلزم من ذلك تحصيل الحاصل.

٣- ولا يجوز ان يوجد كل واحد من الالهين بعض زيد، لانه يلزم عجزهما حينئذ فلا يجوز اذن ان يتفقا.

واذا اختلفا بان اراد احدهما ان يوجد زيداً واراد الثاني اعدامه، فحينئذ يترتب ما ياتي:

١- لا يجوز ان ينفذ مرادهما معاً ، لانه يلزم من ذلك اجتماع الضدين.

٢- ولا يجوز ايضا ان ينفذ مراد احدهما دون الاخر- على فرض كونهما الهين- وذلك لانه يلزم عجز من لم ينفذ مراده ، بل والاخر مثله ايضا لانعقاد المماثلة بينهما.

او ان الذي نفذ مراده هو الاله، دون الاخر.

وسمي هذا الدليل العقلي ببرهان التمانع لتمانعهما - اي : الالهين المفترضين وتخالفهما.[1]

ولحضرة العلامة الشيخ عبد الله بن مصطفى النقشبندي- طيب الله ذكره وثراه- صورة اخرى في صياغة هذا الدليل وتوضيحه وهو : لنفترض ان للكون الهين متصفين بصفات الالوهية فنرمز الى أحدهما بـ"أ" والى الاخر بـ"ب" فلا يخلو "أ" من ان يكون هو خالق "ب" او مخلوقاً له، او لا خالقاً له ولا مخلوقاً.

فاذا كان "أ" هو الخالق فقد خرج "ب" من الخالقية الى المخلوقية وانفرد "أ" بالخلق وحده.

واذا كان "ب" هو الخالق فقد خرج "أ" من الخالقية الى المخلوقية وانفرد "ب" بالخلق وحده.

---

[1] انظر: اسرار التنزيل وانوار التاويل ، للامام فخر الدين الرازي، مطبعة الاوقاف في بغداد، سنة ١٩٩٠م، ص ١١٧ والاقتصاد ص ٤٩ واليواقيت والجواهر ٤٦/١ وتحفة المريد ص ٧١ وتنوير القلوب ص ١٦ وموجز الكلام شرح منظومة عقيدة العوام، للشيخ محمد بن علي بن محمد باعطية السدوعي، ط١، ١٤١٢هـ- ٢٠٠١م، دار الفقيه ، الامارات، ٦٢.

واذا كان كل واحد منهما لا خالقاً ولا مخلوقاً فقد انتفت صفة الخالقية عن كل منهما، وتحتم ان يكون "ج" وحده خالقاً لهما ولغيرهما من المخلوقات وبهذا البرهان يصل العقل الى ان القدرة اللانهائية تقتضي وحدة ذات القادر، وتتعاند مع التعدد المفضي الى النقص والنهائية. فالله – جل جلاله – واحد احد في العقل وفي الواقع.[1]

[1] مجمع الاشتات ، للعلامة الدكتور عبد الله مصطفى،ط١، مطبعة التعليم العالي- بغداد ، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م ، ص ٩٨ و ص ٩٩.

المبحث الثالث

اقسام التوحيد وانواعه واعلاها

اهتم الصوفية بالتوحيد اهتماماً كبيراً وتميزت دراستهم له بالعلمية والدقة والعمق والتفصيل، ومنها انهم فرقوا بين اقسام التوحيد وبينوا انواعه واعلى هذه الانواع. وسنتحدث عن كل واحد من هذه الثلاثة كل في مطلب مستقل.

المطلب الاول : اقسام التوحيد

اجتهد الصوفية في تقسيم التوحيد على اقوال كثيرة، وسنذكرها كلها- اليك ايها القاريء الكريم – مدعومة ببيان موجز وتوضيح مختصر.

*التقسيم الاول[1] : للتوحيد ثلاثة اقسام وهي:

١ – نفي الكثرة في ذاته تعالى، ويسمى الكم المتصل.

٢ – نفي النظير له جل وعز في ذاته او في صفة من صفاته، ويسمى الكم المنفصل.

٣ – انفراده تعالى بالايجاد والتدبير العام بلا واسطة ولا معالجة، فلا مؤثر سواه تعالى في اثر ما عموما، قال جل من قائل: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ).[2]

ومعنى الاول هو ان ذات مولانا تبارك وتعالى غير مركبة من اجزاء، والكم المنفصل في الذات ينفي وجود ذات اخرى مماثلة لذاته العلية، جل جلاله وعم نواله، وهذا هو معنى الثاني : نفي النظير له في ذاته.

اما الكم المنفصل في الصفات فهو دليل عقلي كسابقه ينفي ان يكون لغيره من الحوادث من يحمل صفة كصفاته، فلا يملك احد قدرة كقدرته او ارادة كإرادته سبحانه.

ومعنى الثالث هو ان لا شريك له في فعل من افعاله.

ولقد سمى الامام الباجوري (ت- ١٢٧٧هـ) رحمه الله هذا التقسيم بـ: وحدانية الذات، ووحدانية الصفات، ووحدانية الافعال ويعني به مثل ما عناه

---

(١) شرح ام البراهين ، للامام محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي (ت- ٨٩٥هـ) المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ١٤٠.

(٢) القمر : ٤٩.

الاول، وفيه ايضاً ان الكم المتصل في الصفات معناه ان صفات ربنا سبحانه لا تتعدد من جنس واحد فلا توجد قدرتان او علمان او حياتان فاكثر، لان مدار الكم المتصل على شيء ذي اجزاء وهو لا يليق به سبحانه.[1]

*التقسيم الثاني: وهو للامام الرباني الشيخ احمد السرهندي النقشبندي مجدد الالف الثاني- قدس سره- حيث يرى ان توحيد حضرة الله تعالى على قسمين:

١- توحيد نشأ من العلم: وهذا التوحيد يورث شيئين : أ-رؤية اثار صفاته تعالى وافعاله واسمائه على جميع اجزاء الكون، وذلك بسبب كثرة مراقبته وانتقاش صورة تلك المراقبة في قوة السالك المتخيلة.

ب-تذوق حلاوة رؤية اثر الصفات بالمحدثات- وذلك بسبب ممارسة علم التوحيد وتكرار دراسته وتامله.

٢- توحيد نشأ من الحب: ويرى صاحب هذا القسم من التوحيد ما يراه الاول وزيادة ولكن هنا بسبب غلبة محبته - تعالى [فانه كثيراً ما يستتر عن نظر المحب غير محبوبه بواسطة استيلاء حب محبوبه عليه، فلا يرى غير محبوبه، لا انه ليس - يوجد- في نفس الامر غير محبوبه، فانه مخالف لحكم الحس والعقل والشرع][2] وهذا القسم من التوحيد اعلى منزلة واعظم درجة من السابق.

*التقسيم الثالث : وهو للامام الرباني ايضاً

١- التوحيد الشهودي: هو مشاهدة الواحد سبحانه بالقلب ، بحيث لا يشاهد السالك غيره .

٢-التوحيد الوجودي : هو ان يعتقد السالك الموجود واحداً ، ويعتقد او يظن غيره معدوماً وان غيره من المحدثات مظهر لقدرته وارادته.[3]

---

(١) تحفة المريد : ٧٠.

(٢) مكتوبات الامام الرباني ١/٤٣.

(٣) المصدر نفسه ١/٦٥.

الفرق بين التوحيد الشهودي والتوحيد الوجودي

التوحيد الوجودي من قبيل علم اليقين ، والتوحيد الشهودي من قبيل عين اليقين وهو من ضروريات طريق السير الى حضرته تعالى، فان الفناء لا يتحقق

بدونه، ولا يتيسر عين اليقين بلا تحققه اي : الفناء، فان مشاهدة الاحدية باستيلائها تستلزم عدم رؤية ما سواه.

بخلاف التوحيد الوجودي فان الفناء في حقه ليس ضروريا لتحصيله، لان علم اليقين حاصل بدون تلك المعرفة الشهودية. لماذا؟ لان علم اليقين لا يستلزم نفي ما سواه تعالى، لكنه يستلزم نفي علم ما سواه وذلك وقت غلبة علم الواحد سبحانه واستيلائه على قلبه.[1]

وينتقد الامام الرباني – قدس سره– بعض الصوفية الكسالى قائلا : [وقد اشاع التوحيد الوجودي في هذا الزمان كثير من هذه الطائفة، المتزيين بزي الصوفية، ولا يدرون ان الكمال فيما وراءه ويقنعون من العين بالعلم].[2]

ويبين –قدس سره– لماذا التوحيد الوجودي علم اليقين؟ ولماذا التوحيد الشهودي عين اليقين وسبب ذلك هو ان التوحيد الشهودي يحصل وقت شعور السالك بحيرته مع الله تعالى، والحيرة معه تستلزم عدم الشعور بغيره، اما صاحب التوحيد الوجودي فانه يرى غيره وينفيه من قلبه، والنفي حكم من الاحكام، وهو من مقولة العلم، والعلم لا يجتمع مع الحيرة فثبت ان صاحب التوحيد الوجودي لاحظ له من مقام عين اليقين.

ومع هذا فيمكن لصاحب التوحيد الشهودي ان يضاعف همته ويترقى من مقام الحيرة حتى يصل الى مقام المعرفة الذي هو مقام حق اليقين.[3]

---

(1) مكتوبات الامام الرباني ٥٦/١.

(2) المصدر نفسه ٥٧/١.

(3) المصدر نفسه.

مراقبة التوحيد الشهودي:

والمقصود بها ان يحرص السالك على رؤية الله تعالى ببصيرة قلبه ، اينما اتجه ، كما كان سيدنا ابو بكر الصديق- رضي الله عنه- يفعل حيث قال : ما رأيت شيئاً الا ورأيت الله قبله[1]. واستدلالاً بقوله تعالى : (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ).[2]

ويعرف حضرة الشيخ محمد بهاء الدين شاه نقشبند- قدس سره- (ت- ٧٩١هـ) هذه المراقبة بقوله : هي [نسيان المخلوق بدوام النظر الى الخالق].[3]

*التقسيم الرابع : وهو للامام القشيري (ت- ٤٦٥هـ) رحمه الله ، حيث قال: [التوحيد ثلاثة :

١- توحيد الحق سبحانه : وهو علمه- سبحانه- بانه واحد.

٢-توحيد الحق سبحانه للخلق: وهو حكمه سبحانه بان العبد موحد وخلقه توحيد العبد

٣-توحيد الخلق للحق: وهو علم العبد بان الله عز وجل واحد واخباره عنه بانه واحد][4].

وهناك توحيد اخر ذكره القشيري عن بعض الصوفية، اسمه: توحيد الخاصة : وهو ان يكون المريد بسره ووجده وقلبه كانه قائم بين يدي الله تعالى، بحيث تجري عليه تصاريف تدبيره سبحانه ، واحكام قدرته وهو في بحار توحيده ، فان عن نفسه.[5]

*التقسيم الخامس: وهو الذي نقله الامام الشعراني - قدس سره- (ت- ٩٧٣هـ) عن بعض الصوفية ، وهو على قسمين:

---

[1] سراج الطالبين : ٢٣.

[2] البقرة : ١١٥.

[3] الحدائق الوردية في حقائق احلاء النقشبندية، للشيخ عبد المجيد بن محمد الخاني الخالدي النقشبندي ، سنة ١٣٠٨، ١٣٣ والطريقة النقشبندية واعلامها للدكتور محمد احمد درنيقة، حروس برس- طرابلس ، ٣٣.

[4] الرسالة القشيرية : ٢٣٢.

[5] المصدر نفسه : ٢٣٤.

١- التوحيد الحقيقي : وهو التوحيد الذي يستحقه الحق، ولا يعرفه الا الحق. ومحال ان يصحب هذا التوحيد هم او حزن او اختيار او حب رياسة او بغض احد من الخلق.

٢- والتوحيد الشرعي: وهو حصول العلم في نفس الانسان بان الله تعالى الذي اوجده واحد لا شريك له[١]. وما اجمل قول احدهم : من وقع في بحار التوحيد لا يزداد على ممر الاوقات الا عطشا.[٢]

التوحيد الحقيقي وعلامته:

يرى الصوفية ان التوحيد الحقيقي هو وراء كل ما يتسع به اللسان ، او يشير اليه البيان: من تعظيم ، او تجريد، او تفريد[٣] ولسان حالهم يقول: كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك. وصدق الامام الجنيد عندما قال : [لا يعرف الله الا الله][٤]. وسبب ذلك هو انه لا يوجد [احد يساوي الله عز وجل في العلم بنفسه فيعرف عن عظمته تعالى كمال صفاته كما يعلم الله عز وجل عن نفسه. فاعظم العاقلين عنده العارفين عقلاً عنه ومعرفة به سبحانه، الذين اقروا بالعجز انهم لا يبلغون في العقل والمعرفة كنه معرفته][٥] والعجز عن درك الادراك ادراك.

ويؤكد الشيخ ابو طالب المكي- رحمه الله- هذا المعنى قائلاً : [ليس في التوحيد كيف، و لا للقدرة ماهية، ولا يشبهه بهذه الاوصاف خلق].[٦]

---

[١] اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر، الامام عبد الوهاب بن احمد بن علي بن احمد الشعراني ، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان، ١/٤٨.

[٢] الرسالة القشيرية : ٢٣٣.

[٣] التعرف لمذهب اهل التصوف : ١٣٥.

[٤] المقصد الاسنى: ٤٩ وايثار الحق على الخلق، لابي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير (ت- ٨٤٠هـ) ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠.

[٥] العقل وفهم القران، للحارث بن اسد المحاسبي (ت- ٢٤٣هـ) ط١، دار الفكر ، ١٣١٩هـ- ١٩٧١م، ٢٢٠. وانظر : استاذ السائرين ، للدكتور عبد الحليم محمود ، دار الشعب ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، ٧٤.

[٦] قوت القلوب في معاملة المحبوب ١٦٧/٢.

وقال الامام الغزالي قدس سره: [فو الله ما عرف الله- معرفة كاملة- غير الله في الدنيا والاخرة. وقيل لذي النون المصري ، وقد اشرف على الموت: ماذا تشتهي؟ فقال: ان اعرفه قبل ان اموت ولو بلحظة].[1]

ويحذر الامام الرازي (ت- ٦٠٦هـ) - رحمه الله- من خطر التعمق في معرفة التوحيد قائلاً : [ومن توغل في البحث واراد الوصول الى كنه العظمة - الالهية- وهوية الجلالة تحير ، وتردد بل عمي فان نور جلال الالهية يعمي احداق العقول البشرية][2]. واليه الاشارة بقوله - صلى الله عليه واله وصحبه وسلم- : (تفكروا في كل شيء،ولا تفكروا في ذات الله تعالى، فان بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة الاف نور ، وهو فوق ذلك)[3] وفي رواية : (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله).[4]

وكل هذا الذي نقلته اليك- زميلي القاريء- هو قطرة من بحر علم الاولياء المخزون ، وكل بحار الاولياء قطرة من بحر سيدنا ابي بكر الصديق ، وبحره قطرة من بحار الانبياء، وبحارهم قطرة من بحار اولي العزم، وبحار علم اولي العزم مع علم جبريل وحملة العرش قطرة صغيرة من بحر سيدنا محمد- صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين-.

وكل ذلك بالنسبة الى حقيقة الذات المعظمة كاصغر من ذرة صحراء، واقل من قطرة ماء- جل جلاله وعم نواله وتقدست اسمائه-.

ولذلك قال بعض العارفين: [من صرح بالتوحيد وافشى -أسرار - الوحدانية- التي لا تطيقها عقول العامة- فقتله افضل من احياء غيره . وقال بعضهم: للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة، وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم، وللعلماء بالله سر لو اظهره الله تعالى لبطلت الاحكام][5]. وعندئذ يتوضح لك ما

---

[1] المقصد الاسنى : ٤٩.

[2] اسرار التنزيل وانوار التاويل : ٦٥ [ومن المحال ان ندرك معاني صفاته الالهية في حدود التجربة البشرية] ما هو التصوف : ١٢٩.

[3] رواه ابو الشيخ ابن عباس (رضي الله عنهما): الجامع الصغير للسيوطي ٥١٤/١.

[4] رواه ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس ايضا ورمز له السيوطي بالضعف ٥١٤/١.

[5] قوت القلوب ١٧٤/٢.

قاله سيدنا ابو بكر الصديق (رضى الله عنه) في فضل التسليم : العجز عن درك الادراك ادراك، والبحث عن سر ذات الله اشراك.[1]

قلت: ولا بد هنا من تسجيل ملاحظتين مهمتين:

الاولى: نفهم مما تقدم ان مراد القوم الكرام بالتوحيد الحقيقي هو الاحاطة الكاملة، والمعرفة التامة بكنه عظمة الذات المقدسة- جل جلاله وعم نواله- وهذا مما لا يمكن لاحد من المخلوقات ان يصل اليه، لماذا؟ لان الذات العلية ليست لها نهاية، والمخلوق مهما سمى وارتقى له نهاية، فكيف يحيط المتناهي بالامتناهي؟! وهو القائل : (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً).[2]

الثانية: ومع هذا كله فان من كمل عقله بتوفيق الله تعالى وفضله افرده الله بتوحيد واكرمه بتفريد اكثر من غيره ، فهو كامل التوحيد بالنسبة الى غيره. فيا سبحان من قال: (وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ)[3] وصدق القائل:

سافرت فيك العقول فما ... ربحت الا عنا السفر

رجعت حسري فما وقعت ... لا على عين ولا اثر

فعلى قدر همتك بالتزكية النفسية، والتربية الروحية يكون مقامك في معرفة الله تعالى ، وتكون رتبتك في توحيده سبحانه.[4]

وعلامة الوصول الى هذا المقام العالي في التوحيد هو ما ياتي:

١. ان لا يجري عليه خاطر ما لا حقيقة له عند الحق سبحانه.

٢. ان يكون قائماً بحقه سبحانه، محجوباً عن رؤية قيامه بحقه.[5]

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، للعلامة مصطفى صبري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت- لبنان، ١/٢٦٧.

(٢) طه : ١١٠.

(٣) البقرة : ٢٥٥.

(٤) نصيحة المريد في طريق اهل السلوك والتجريد، للعارف بالله تعالى علي بن عبد الرحمن العمراني (ت- ١١٩٣هـ) تحقيق الدكتور عاصم ابراهيم الحسيني الشاذلي ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ، ٢٤١.

(٥) التعرف : ١٣٦.

٣. ان يكون الله تعالى هو انيسه في الخلوة والجلوة.[١]

٤. ان لا يتعلق بشيء سواه.[٢]

٥. ان يكون منقهراً تحت عظمة فردانيته تعالى.[٣]

*التقسيم السادس: وقد ذكره لهم شيخ الاسلام ابن تيمية (ت- ٧٢٨هـ) - رحمه الله :-

١. توحيد الربوبية: هو ان تشهد ان الله تعالى هو الذي خلق فيك افعال البر والخير وعلى هذا الاساس فالصوفية لا يرون لانفسهم حمداً ولا منة ولا حقاً على احد، ولا يرون ايضاً احداً مسيئاً اليهم.

٢. توحيد الالوهية: هو ان تشهد ان الله تعالى وحده هو الذي يستحق العبادة، ولا حول ولا قوة الا بالله[٤]. قلت : ويؤيد ما ذكره ابن تيمية عنهم هو قولهم بالاجماع ان الله تعالى [هو المعطي المانع، الهادي المضل، لا معطي ولا مانع، ولا ضار ولا نافع الا الله][٥].

قال ابن تيمية - رحمه الله- [ولهذا كانوا منكسرة قلوبهم، لشهودهم وجوده الكامل وعدمهم المحض، ولا اعظم انكسارا ممن لم ير لنفسه الا العدم، لا يرى له شيئاً ولا يرى به شيئاً][٦].

واضاف بعضهم: توحيد العبودية بعد توحيد الربوبية والالوهية،ويعني به ان الصوفية لا يعبدون الا الله وحده ، مع التسليم اليه وحده، والتوكل عليه وحده.[٧]

---

(١) الفتح الرباني والفيض الرحماني ، للشيخ عبد القادر الكيلاني (ت- ٥٦٠هـ) - قدس سره- مكتبة الشرق الجديد - بغداد ، مطبعة منير ، ٥٩.

(٢) ايقاظ الهمم في شرح الحكم، للعارف بالله احمد بن محمد بن عجيبة الحسني، دار المعارف ، القاهرة ، ١٢٠.

(٣) اهل الحقيقة مع الله ، للسيد احمد الرفاعي ، منشورات مكتبة بسام، الموصل ، ١٨٥.

(٤) شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني من فتوح الغيب، لشيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق اياد عبد اللطيف ابراهيم، مكتبة المثنى ببغداد، ط١، ١٩٨٧م، ٦٢.

(٥) قوت القلوب ١٦٤/٢.

(٦) شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني : ٦٣.

(٧) ما هو التصوف : ١٢٦.

*التقسيم السابع: وقد ذكره لهم الامام ابن قيم الجوزية (ت- ٧٥١هـ) - رحمه الله-:[١]

١- توحيد لم تصرح به الرسل، وهو على قسمين:

أ- غير موجود ولا ممكن.

ب- توحيد صحيح.

٢- توحيد صرحت به الرسل، وينقسم على قسمين ايضاً:

أ- توحيد في المعرفة والاثبات.

ب- توحيد في المطلب والقصد.

وقد اطال ابن القيم- رحمه الله- القول في شرح هذا القسم من توحيد الصوفية وفصل، مما يزيد المنصف الصادق يقيناً بان الصوفية - اهل الكتاب والسنة- هم اهل التوحيد والتفريد.

[١] مدارج السالكين: ٣/٤٤٩.

المطلب الثاني

انواع التوحيد واعلاها

يعتقد الصوفية بنوعين رئيسين للتوحيد ، وهما:

١ - توحيد قائم على الدليل العلمي.

٢ - توحيد قائم على الكشف الروحي.

اما ايهما اعلى مرتبة وارفع درجة، فالمسالة فيها تفصيل ، وتوضيحها : هو ان توحيد من لا ينظر في الادلة اعلى اذا كان توحيده كشفاً. اما اذا كان توحيده تقليداً فان توحيد من ينظر في الادلة اعلى منه.[١]

ونص بعضهم على [ان الاله الذي ادركه العقل ليس هو عين الاله المنزه المقدس، لان الاله الذي جاء بوصفه ونعته الشارع لا يقبل اقتران محدث به، وقد قرن بهذا الاله – اسم- محمد رسول الله في شهادة: ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله ، فعلم ان التوحيد من حيث ما يعلمه الله ما هو التوحيد الذي ادركه النظر العقلي ، اذ الاله الذي دعا الشرع الى عبادته لا يعقل كنهه ، لمخالفته لسائر الحقائق].[٢]

وقال الشيخ الشعراني: – قدس سره- تعليقاً على هذا الكلام و توضيحاً : [ان الحق تعالى له مرتبتان: ١-مرتبة هو عليها في علٰى ذاته،٢- ومرتبة تنزل منها لعقول عباده.[٣]

فما عرف الخلق منه الا رتبة التنزل لا غير، لان الله تعالى لم يكلف الخلق ان يعرفوه تعالى كما يعرف- هو- نفسه ابداً. ولو كلفهم بذلك لادى الى الاحاطة به كما يحيط هو بنفسه ، وذلك محال لتساوي علم العبد وعلم الرب حينئذ].[٤]

قلت: ومن مجمل هذا الكلام يتبين لنا ان توحيداً باعثه الحب والشوق اعلى من توحيد باعثه الدليل والبرهان، لان الاول لا يعني خلوه من الدليل العلمي وانما كفايته بالقليل منها والتركيز على الحب، فجمع بين الحب والعلم، وهذا يورث الكشف

---

[١] اليواقيت والجواهر ١/٤٢.

[٢] المصدر نفسه ١/٤٧.

(3) قلت : النزول هنا معنوي كما في حديث (ينزل ربنا الى السماء الدنيا..)

[٤] المصدر نفسه.

والقرب، والثاني يورث العلم الذي قد يحجب بسببه عن المعلوم، والله تعالى اعلم.

رأي الباحث

بعد التأمل العلمي الدقيق في كلام الصوفية المار انفا ترددت في نفسي ثلاثة اسئلة وهي:

١- هل تقسيمات الصوفية هذه للتوحيد مشروعة ؟ اولا؟

٢- واذا كانت مشروعة فلماذا لم يذكرها القران الكريم؟

٣- وهل العقل الانساني قادر بمفرده على تمييز المقبول منها عن غيره؟

كل هذه الاسئلة كانت تراودني اثناء كتابة المباحث السالفة وبعدها، وهي من حقي، ومن حق كل مطلع عليها. ولنبدأ على بركة الله تعالى بالاجابة عليها واحداً واحداً.

اما السؤال الاول : هل تقسيمات الصوفية للتوحيد مشروعة؟

فالجواب عليه: أ- هو ان القران الكريم والسنة النبوية المباركة قد حثا على اعمال العقل وشجعا على تحريكه وتفعيل طاقاته الاجتهادية، سواء اكان ذلك في مجال العقيدة ام الشريعة ام السلوك. فكما ان الاجتهاد في دراسة النصوص لاستنباط الاحكام وبيانها للمسلمين حفاظاً على مصالحهم العملية محمود مرغوب، فكذلك الاجتهاد في دراسة العقيدة وفهمها بعمق، وتوضيحها باسلوب علمي رصين، حفاظاً على مصالح المسلمين الايمانية محمود مرغوب.

ب- لايوجد دليل شرعي يحدد مجال الاجتهاد في المسائل الفقهية، ويمنعه في القضايا الاعتقادية ، توضيحاً او تعميقاً.

ج-كل ما قاله الصوفية في التوحيد داخل ضمن الدائرة الواسعة من الادلة الشرعية، تصريحاً او تلميحاً . فالتوحيد الوجودي والتوحيد الشهودي مثلاً ،

لهما دليل في صحيح حديث رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم- عندما عرّف الاحسان بقوله: (ان تعبد الله كانك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك)[1].

فانت عندما تدقق في الشطر الاول في الحديث الشريف تجده يشير الى التوحيد الشهودي لان معنى (تراه) هو تشاهده. واذا امعنت النظر جيداً في الشطر

الثاني (فانه يراك) وجدته يشير الى التوحيد الوجودي . والمعنى الاجمالي: الاحسان ان تعبد الله تعالى وحده لا شريك له ، عبادة تشاهده فيها بقلبك لاستغراقك الكلي معه. فان عجزت عن مشاهدته سبحانه بقلبك فاستشعر وجوده سبحانه بفكرك وعندها تصل الى مرتبة التوحيد الوجودي. ومعنى: (فان لم تكن تراه) اي: ان لم توفق الى رتبة رؤيتك القلبية لحضرته العلية فاعلم وذكر نفسك بوجوده ورؤيته لك.

ومن ههنا فرقوا بين المشاهدتين فقالوا:[2] من عمل لله على المشاهدة فهو عارف ، ومن عمل على مشاهدة الله اياه فهو مخلص.

ومن توحيدهم من تؤيده صراحة دليل قطعي، وهو المقصود بقولهم: توحيد قائم على الدليل العلمي، ومن توحيدهم من تؤيده اشارة حديث نبوي كقوله صلى الله عليه واله وسلم: (عرفت فالزم) للصحابي الذي قال لحضرته : اصبحت مؤمناً يا رسول الله. وهو المقصود بقول الصوفية: توحيد قائم على الكشف الروحي.

ويؤيد ذلك ايضاً ما اخرجه الامام مسلم عن ابي هريرة – رضي الله عنه- قال: جاء ناس من اصحاب رسول الله – صلى الله عليه واله وسلم- فسالوه: انا نجد في انفسنا ما يتعاظم احدنا ان يتكلم به، فقال لهم النبي – صلى الله عليه واله وسلم- (وقد وجدتموه) ؟ قالوا: نعم ، فقال : (ذاك صريح الايمان).[3]

---

(١) صحيح مسلم بهامش شرح النووي ، ك الايمان ، ب بيان الايمان والاسلام والاحسان (١) ١/٢٥٩.

(٢) المختار من شرح الاربعين حديث النووية، عبد الخالق مسعود، دار الثقافة ، دوحة- قطر ، ١٩٨٣م ، ٢١.

(٣) رواه مسلم في ك الايمان، ب (٦٠) بيان الوسوسة في الايمان وما يقوله من وجدها برقم (٢٠٩) ٢/٥١٢ .

[اولئك من اصحاب رسول الله- صلى الله عليه واله وسلم- وقد وجدوا في قلوبهم اقصى -درجات- الاحسان، وجدوا عبادتهم كانهم يرون الله تعالى، فتعاظمهم ان يتكلموا به، فهرعوا الى النبي الكريم فعرضوا عليه الشان].[1]

قلت : وفي هذا الحديث فائدتان عظيمتان:

الاولى: لماذا جاء الصحابة يسالوا رسول الله عما وجدوه في انفسهم، اذا كان قد حدثهم هو مسبقاً عنه؟ فهو دليل على انه لم يحدثهم بالذي احسوه، والا كان سؤالهم عبثاً.

الثانية: عدم سؤاله - صلى الله عليه واله وسلم- عما هو الذي وجدوه فيه فائدتان ايضاً .

أ- لانه كان يعلمه يقيناً بدليل انه ما قال لهم : ما الذي وجدتموه؟ وبين صيغ السؤالين فرق كبير.

ب- ما وجدوه من الاذواق الروحية في توحيده سبحانه وعبادته يجوز كتمه عمن لا يقوى على ادراكه وفهمه. وفي هذا اشارة واضحة على انه قد يكرم الله تعالى بعض اوليائه من كشف في توحيده، في زمن من الازمان ما لم يجده بعضهم الاخر، او انهم كوشفوا بشيء اخر غير الذي عند اخوانهم وهكذا الى قيام الساعة، لعظمة الذات المقدسة وعدم تناهيها.

ومن توحيدهم ما بني على اساس بديهيات الخطابات القرانية العامة- كقوله تعالى: (لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)[2]. فالشطر الاول من نص الاية يشير الى توحيد الالوهية، والشطر الثاني يشير الى توحيد العبودية.

واما الدليل على ان في التوحيد اسراراً لا تدركها عقول العامة ولا يجوز كشفها لهم، فهو حديث رسول الله - صلى الله عليه واله وسلم-: (حدثوا الناس على قدر عقولهم ، اتحبون ان يكذب الله ورسوله)[3].

---

(1) معالم الطريق في عمل الروح الاسلامي ٣٠٠.

(2) الانبياء: ٢٥.

(3) رواه البخاري بلفظ : حدثوا الناس بما يعرفون، اتحبون ان يكذب الله ورسوله: في كتاب العلم. باب (٤٩) من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ان لا يفهموا ، برقم (١٢٧) والديلمي في الفردوس عن سيدنا الحسين بن علي (عليهما السلام ١٢٩/٢ (٢٦٥٦)

واما دليل قولهم : التوحيد الحقيقي لا يعلمه الا الله – جل في علاه– فهو قوله سبحانه: (ولا يحيطون به علماً)[1] واليه الاشارة بقوله ايضاً : (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار)[2] – سبحانك ، جلالك عظيم، وعظمتك جليلة.

وهكذا.. وهكذا لو جئت معي تتدبر نصوص الشرع الشريف لوجدت فيها ما يدل على توحيد الصوفية – المار انفاً– صراحة تارة، واشارة تارة اخرى وهو دليل على مشروعية اقوالهم واصالتها.

وقفة مع السؤال الثاني:

واما السؤال الثاني وهو: اذا كانت تفصيلاتهم الكثيرة للتوحيد مشروعة فلماذا لم يذكرها القران الكريم كلها صراحة؟

فالجواب على ذلك ما ياتي:

١- لان القران الكريم لم ينزل لفئة بشرية واحدة كالصوفية مثلاً، وانما جاء لكل الناس، فجاء خطابه كلياً شاملاً عاماً، يتناسب مع شمولية دعوته التي قرر عنها في قوله: (وما ارسلناك الا كافة للناس..)[3] وقوله: (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)[4].

٢- ولان ذكره لتفصيلات التوحيد يغلق باب الاجتهاد والابداع الروحي في توضيحه وبيانه بوجه كل الصوفية، مما يؤدي الى تعطيل الطاقات الروحية ، وتوقف الابداعات الفكرية.

قال الحافظ ابن حجر(ت- ٨٥٢هـ) -- رحمه الله: [المراد بقوله (بما يعرفون) اي : يفهمون وفيه دليل على ان المتشابه لا ينبغي ان يذكر عند العامة. ومثله قول ابن مسعود: ما انت محدثاً قوماً لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة، رواه مسلم]. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت - لبنان، بتحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز -- رحمه الله- ١/٢٢٥.

(١) طه: ١١٠.

(٢) الانعام: ١٠٣.

(٣) سبأ: ٢٨.

(٤) الانبياء : ١٠٧.

٣- ولان تسجيله لتفصيلات التوحيد العالية التي نطقت بها السنة الصوفية يثير زوبعة كبيرة من الاسئلة والاستفسارات المحيرة، مما يؤدي الى كثرة اختلاف الامة بسبب تباين مقامات ابنائها الروحية، وتفاوت مداركهم العقلية.

والاختلاف في حل رموزها قضية لاشك فيها، لان القران الكريم يمثل اهتمام المسلمين الاول، بجميع موضوعاته وطروحاته ومسائله، والله تعالى اعلم.

وقفة مع السؤال الثالث:

واما السؤال الثالث، وهو : هل العقل الانساني قادر بمفرده على ان يميز المقبول من تقسيمات الصوفية واقوالهم عن غير المقبول؟

والجواب على ذلك، هو انه توصلت الدراسات العلمية الاخيرة[1] لبنية العقل المجرد الى استكشاف خمسة نتائج مهمة وهي:

١- العقل البشري عقل محدود ، قادر على اعتماد بعض الاشياء المعلومة عن طريق الحواس للوصول الى بعض الاشياء المجهولة.

٢- العقل غير قادر على الخوض في مسائل لا تتوفر له عنها معلومات جيدة.

٣- العقل بنية يسهل خداعها.

٤- الاعتماد على العقل في تصحيح مسار البشرية بعيداً عن الوحي السماوي، باعث على خيبة الامل والخذلان

٥- والحل هو العودة بالعقل الى وظيفته الاصلية ضمن اطر ومسلمات يؤمنها الوحي السماوي قلت: وعلى اساس هذه النتائج العلمية، وما سبقها من اقوال الصوفية يتضح لنا ان العقل البشري مهما ارتقى سلم الكمال يبقى عاجزاً بمفرده عن ان يكون ميزاناً لتحديد المقبول- من اقوال الصوفية- من غيره، لسبب بسيط جداً ، وهو ان العقل يتعامل مع

[1] يمكنك مراجعة هذه الدراسة في كثير من الكتب النفسية والفكرية ومنها كتاب: خطوة نحو التفكير القويم للاستاذ الدكتور عبد الكريم بكار، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م، دار الاعلام- عمان- الاردن، ٢٧ وما بعدها.

عالم المحسوسات بينما يتعامل الصوفية مع عالم الروحانيات ، وبينهما فرق كبير جداً فلابد اذن من اعتماد العقل على الوحي السماوي والا فلا وبعبارة اخرى اقول [ان جميع مدارك الانسان انما هو وليد تصوراته، والتصورات انما تتجمع في الذهن عن طريق نوافذ الحواس الخمس. وهذا يعني ان الانسان لا يعقل من المجردات الا ما كان له مقاييس ونماذج حسية في ذهنه، فما لم يسبق له في ذهنه أي نموذج او مقياس فان من المحال بالنسبة اليه ان يتصوره ويدركه].[1]

(1) كبرى اليقينيات الكونية، للدكتور العلامة محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، دمشق- سوريا، طبع على طبعته الثامنة ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، ١١٣.

أهم النتائج

تبين لي بعد عرض موقف الصوفية من توحيد الله تعالى- رب العالمين- امور عدة واهمها ما ياتي:

١- اكثر ما عبر به الصوفية من الفاظ وكلمات في فهم توحيده سبحانه او محاولة جادة منهم لفهم شيء من توحيده، كان نابعا من احوال او مقامات روحية خاصة استغرقوا فيها كلياً مع الحضرة العلية- جل جلاله وعم نواله- ذوقاً وكشفاً . وكل ما جاء عنهم لتقريب عقيدة توحيده للخواص كان صادراً من درجات رفيعة المستوى متحررة من اقيسة المنطق ومقدماته، وتصورات العقل وتخيلاته بل هي ارفع من ذلك بكثير ووراء ذلك بل هي وراء الوراء.

٢- كلام الصوفية في توحيده سبحانه انما يعبر عن عمق تجربة روحية عالية، ومن لم يخض هذا التجربة ويعيشها بنفسه، ويتذوق حلاوتها،ويستطعم طعمها قد يستغرب من هذا الكلام ويستصعب فهمه وكل ذلك من حقه لعدم امتلاكه آله فهمه ولسان تذوقه.

ولكن هذا شيء والانكار عليهم او محاربتهم شيء اخر. بمعنى ان عدم فهمه لكلامهم، وعدم قدرته على الوقوف على اسراره واهدافه ومراميه لا يسوغ كل ذلك له التشنيع بهم والاستخفاف بكلامهم، وعرضه للعوام بصورة تتناقض مع ضروريات هذا الدين الحنيف ومبادئه العامة.

واذكر هنا ان احد المريدين الصوفية جاء الى شيخه ذات يوم فقال له: ان الناس لا يصدقون طريقتنا؟

فقال له الشيخ: اذا طلب منك احد حجة لمعرفة هذا الطريق فاساله : كيف تعرف ان العسل حلو المذاق؟

فاذا قال: قد ذقته ، وبالذوق يعرف، فقل له: وكذلك التصوف لا تعرفه حتى تذوقه وفي هذا المعنى قال الامام جنيد البغدادي (ت- ٢٩٧هـ) - قدس سره- : الصوفية: هم مع الله تعالى وحده، ولا يعرفهم غيره.(١)

٣- لا يوجد أي تناقض او تصادم بين الصوفية وعلماء الكلام، أي : لا يوجد بينهما خلاف تضاد على الرغم من تميز توحيد الصوفية بنكهة خاصة ورائحة خاصة، وطعم خاص. وسر ذلك شيئان : أ- ان كثيراً من المتكلمين والمنشغلين بدراسة العقيدة هم من ائمة الصوفية، كالبصري والمحاسبي والغزالي والجرجاني و التفتازاني - طيب الله ارواحهم الزكية- ب- ان اكثر الادلة التي اعتمدها المتكلمون هي نفسها التي اعتمدها الصوفية كما راينا ذلك واضحاً في مطلب الادلة، سواء النقلية والعقلية.

٤- بنى الصوفية توحيدهم على اساس متين جداً من الطهارة الباطنية والنظافة من الصفات الذميمة، فعلى قدر نظافة نفسك، ونقاء ذاتك، ونور روحك، واستعداد قلبك، يشرق فيك توحيد ربك، بحيث تغيب بذاته عن ذاتك، ورؤيته عن رؤيتك، وعندئذ - وما ادراك ما هو عندئذ- تفقد التمييز بين المختلفات ، والفرق بين المتباينات ، اذ لا يستحق الذكر والنظر اليه الا الله جل في علاه - اذ لا موجود الا هو، بل هو موجود بالنسبة لنا لا له لانه اسمى من الوجود- تقدست ذاته وجلت صفاته وسمت اسمائه- فاي توحيد اعظم من هذا التوحيد، واي تنزيه اجل من هذا التنزيه.

٥- وظهر لي بقين ان الصوفية - اهل الشرع الشريف- هم اعرف الخلق بربهم، واقربهم اليه ، واكثرهم حباً له وتعمقاً في فهم توحيده . والله اعلم.

---

(١) ما هو التصوف ، ٤٩.

رب اني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ، ولا يغفر الذنوب الا انت يا حبيبي فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني ، انك انت الغفور الرحيم ، وصلى الله وسلم وبارك على حضرة سيدنا وحبيبنا محمد ، وعلى اله الطيبين ، وصحبه الميامين ، والحمد لله رب العالمين .

قائمة المراجع والمصادر

١- القران الكريم.

٢- احياء علوم الدين، للامام ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت- ٥٠٥هـ) وبذيله كتاب: المغني عن حمل الاسفار للحافظ العراقي (ت- ٨٠٦هـ) ،ط٣، دار القلم، بيروت- لبنان.

٣- الاربعين في اصول الدين، للامام ابي حامد الغزالي (ت- ٥٠٥هـ) دار الجيل، بيروت-لبنان، سنة ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٤- استاذ السائرين الحارث بن اسد المحاسبي ، للامام عبد الحليم محمود ، دار الشعب، جمهورية مصر العربية، سنة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٥- اسرار التنزيل وانوار التاويل ، للامام فخر الدين الرازي، تحقيق لجنة من علماء وزارة الاوقاف والشؤون الدينية في بغداد، سنة ١٩٨٥م.

٦- الاقتصاد في الاعتقاد للامام ابي حامد الغزالي (ت- ٥٠٥هـ) ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٧- ايثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من اصول التوحيد، تاليف ابي عبد الله محمد بن المرتضى اليماني المشهور بابن الوزير (ت- ٨٤٠هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٨- ايقاظ الهمم في شرح الحكم، للعارف بالله احمد بن محمد بن عجيبة الحسني ، دار المعارف، القاهرة.

٩- تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، للعلامة الشيخ ابراهيم بن محمد بن احمد الشافعي البيجوري (ت- ١٢٧٧هـ)،ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١٠-التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، للشيخ فالح بن مهدي ال مهدي ، تصحيح الشيخ د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، ط١، سنة ١٤١٤هـ، دار الوطن- الرياض.

١١-التعرف لمذهب اهل التصوف، لتاج الاسلام ابي بكر محمد الكلابادي (ت-٣٨٠هـ) حققه الدكتور عبد الحليم محمود والاستاذ طه عبد الباقي سرور، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م.

١٢-تنوير القلوب في معاملة علام الغيوب، للعلامة محمد امين الاربيلي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت- لبنان.

١٣-الجامع الصغير في احاديث البشير للامام جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (ت- ٩١١هـ) دار الفكر ، بيروت- لبنان.

١٤-حاشية الدسوقي، للعلامة المحقق الشيخ محمد بن احمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت- ١٢٣٠هـ) على ام البراهين وشرحها للامام السنوسي ،ط١، المكتبة العصرية ، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

١٥-حالة اهل الحقيقة مع الله، لسيدي احمد الرفاعي (رضي الله عنه)، تقديم وتعليق الاستاذ محمد نجيب خياطة، منشورات مكتبة بسام، الموصل- العراق.

١٦-الحدائق الوردية في حقائق اجلاء النقشبندية، للشيخ عبد المجيد محمد الخاني الخالدي النقشبندي ، دمشق- سوريا.

١٧-خطوة نحو التفكير القويم، للاستاذ الدكتور عبد الكريم بكار، دار الاعلام، عمان- الاردن، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٨-الرسالة القشيرية في علم التصوف ، للامام العالم ابي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري (ت- ٤٦٥هـ) دار التربية للطباعة والنشر، بغداد- العراق.

١٩-سراج الطالبين، للعالم العامل الشيخ محمد علي الحسامي ال كجك ملا ، ترجمه من الفارسية الاستاذ حيدر رشيد احمد، مطبعة وزارة التربية، اربيل- العراق ، ط٢، سنة ٢٠٠٢م.

٢٠-شرح ام البراهين للعلامة السنوسي وبهامشه حاشية الدسوقي المالكي (ت- ١٢٣٠هـ) المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م،ط١.

٢١-شرح كلمات الشيخ عبد القادر الكيلاني من فتوح الغيب، لشيخ الاسلام احمد بن تيمية (ت- ٧٢٨هـ) تحقيق اياد عبد اللطيف ابراهيم، منشورات مكتبة المثنى، بغداد، سنة ١٩٨٧م.

٢٢-صحيح الامام البخاري، بحاشية فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة ، بيروت- لبنان.

٢٣-صحيح الامام مسلم، بحاشية شرح صحيح مسلم للامام النووي (ت- ٦٧٦هـ) دار القلم، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٢٤-الطريقة النقشبندية واعلامها ، الدكتور محمد احمد درنيقة ، جروس برس.

٢٥-العقل وفهم القران ، للامام الحارث بن اسد المحاسبي (ت- ٢٤٣هـ) تحقيق حسين القوتلي ،دار الفكر ، بيروت- لبنان، ط١، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.

٢٦-فتح الباري بشرح صحيح البخاري للامام الحافظ احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت- ٨٥٢هـ) وهو مطبوع مع صحيح الامام البخاري، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت- لبنان.

٢٧-الفتح الرباني والفيض الرحماني، تاليف الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت- ٥٦٠هـ) مكتبة الشرق الجديد، بغداد- العراق، مطبعة منير.

٢٨-الفردوس بماثور الخطاب، تاليف ابي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني (ت- ٥٠٩هـ) تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م. دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٢٩-قوت القلوب في معاملة المحبوب، للعالم المحقق الشيخ ابي طالب محمد ابن ابي الحسن علي بن عباس المكي، ط١، دار صادر، بيروت- لبنان ، ١٩٩٥م.

٣٠-كبرى اليقينيات الكونية ، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، دمشق- سوريا ، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م، اعاد طبعه على طبعته الثامنة.

٣١-الكبريت الاحمر في بيان علوم الشيخ الاكبر، الامام ابي المواهب عبد الوهاب بن احمد بن علي التلمساني الشافعي المصري المعروف بالشعراني (ت- ٩٧٣هـ)،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

٣٢-ما هو التصوف، ما هي الطريقة النقشبندية، تاليف الشيخ امين الشيخ علاء الدين النقشبندي، ترجمة الدكتور محمد شريف احمد، مطبعة الدار العربية ، بغداد- العراق.

٣٣-مجمع الاشتات ، للعلامة الدكتور عبد الله مصطفى النقشبندي(رحمه الله) ،ط١، ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م، مطبعة التعليم العالي.

٣٤-المختار من شرح الاربعين حديث النووية، للاستاذ عبد الخالق مسعود ، دار الثقافة، الدوحة- قطر.

٣٥-مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين، للامام ابن قيم الجوزية (ت- ٧٥١هـ) تحقيق محمد حامد الفقي / ط الاخيرة ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م ، دار الفكر، بيروت- لبنان.

٣٦-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تاليف العالم العلامة احمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت- ٧٧٠هـ) دار القلم، بيروت- لبنان.

٣٧-معالم الطريق في عمل الروح الاسلامي، للعلامة الدكتور عبد الله مصطفى النقشبندي (رحمه الله تعالى)،ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، عمان- الاردن.

٣٨-معجم الفاظ الصوفية، للدكتور حسن الشرقاوي، ط١، مؤسسة مختار، القاهرة، سنة ١٩٨٧م.

٣٩-المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، دار التحرير للطبع والنشر ، جمهورية مصر العربية.

٤٠-المعجم الوسيط، د. ابراهيم انيس ود. عبد الحليم منتصر وغيرهما، ط٢، دار الامواج، بيروت- لبنان، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٤١-المقصد الاسنى في شرح معاني اسماء الله الحسنى، للامام حجة الاسلام ابي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت- ٥٠٥هـ) ط١، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، سنة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٤٢-مكتوبات الامام الرباني ، للامام الشيخ احمد بن الشيخ عبد الاحد السرهندي المشهور بمجدد الالف الثاني (قدس سره) ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٤٣-موجز الكلام شرح منظومة عقيدة العوام،تاليف الشيخ محمد بن علي بن محمد باعطية الدوعني،ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، دار الفقيه ، ابو ظبي.

٤٤-موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ، تاليف الشيخ مصطفى صبري ، دار احياء التراث العربي ، بيروت- لبنان.

٤٥-نصيحة المريد في طريق اهل السلوك والتجريد، تاليف العارف بالله تعالى سيدي علي بن عبد الرحمن بن محمد العمراني المعروف بالجمل (ت- ١١٩٣هـ)،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ٢٠٠٥م- ١٤٢٦هـ.

٤٦-نفحات الحياة، ديوان شعر معاصر ، لحضرة العلامة الدكتور عبد الله مصطفى النقشبندي (رحمه الله تعالى)، ط١، شركة الفكر، بغداد، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٤٧- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الاكابر ، تاليف الامام عبد الوهاب بن احمد بن علي بن احمد الشعراني (ت- ٩٧٣هـ)، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.